

## الدلالات الاجتماعية الثقافية لاحتفالية الحج

### The Socio-cultural connotations For the celebration of the Hajj

### Les connotations sociales et culturelles du Hajj

دكتور. عبد الحكيم خليل سيد أحمد

أستاذ العادات والمعتقدات والمعارف الشعبية المساعد بالمعهد العالي للفنون الشعبية .

أكاديمية الفنون: مصر

تاريخ الارسال: 2018-09-27 تاريخ النشر: 2018-12-30

#### الملخص:

يُنظرُ الى جوهر احتفالية الحج في درسنا الراهن بوصفها ممثلةً لمجموعة من الدلالات الاجتماعية والثقافية التي تعيننا على فهم أبعاد الظواهر المرتبطة بممارساتنا وبمجتمعاتنا في الوقت ذاته، وبما يمكن أن تؤديه من أدوار مختلفة في توجيه السلوك الإنساني في واقعه بما يتفق مع رؤيته الدينية لهذه الشائعات الإيمانية والروحية التي ينشدها والتي قد يعجز الواقع الاجتماعي والديني عن تحقيقها له خلال مسيرته الحياتية العامة والخاصة.

الأمر الذي تحاول هذه الدراسة بيانه في سياقات دينية، اجتماعية وثقافية متصلة بمستويات التعايش الإنساني الممكنة؛ إذ غاية الإنسان الأسمى - دوماً - بحثه المستمر عن الأمن الروحي والاجتماعي والثقافي.

الكلمات المفتاحية: الدلالات، الاجتماعية، الثقافية، احتفالية، الحج.

#### Abstract :

The essence of the Hajj celebration is seen in our present study as a representative of a range of social and cultural connotations that help us to understand the dimensions of the phenomena associated with our practices and our societies at the same time and the different roles they can play in guiding human behavior in accordance with its religious vision of these faith and spiritual rituals Which he seeks and which social and secular reality may be unable to achieve during his public and private life.

This study attempts to present it in religious, social and cultural contexts related to the levels of possible human coexistence. The ultimate goal of man is always his constant search for spiritual, social and cultural security.

**keywords :** connotations - Social - Cultural - celebration - Hajj.

**Résumé:**

On dirait à l'essence même du pèlerinage cérémonial étudié le présent en tant que représentant d'un groupe de connotations sociales et culturelles qui nous aident à comprendre les phénomènes liés à nos dimensions pratiques et nos sociétés en même temps, et ce qui peut jouer différents rôles dans l'orientation du comportement humain, en réalité, conformément à sa vision religieuse de ces rites de la foi et spirituelle. Que cherche-t-il et que la réalité sociale et laïque peut être incapable de réaliser dans sa vie publique et privée. Cette étude tente de la présenter dans des contextes religieux, sociaux et culturels liés aux niveaux de coexistence humaine possibles, le but ultime de l'homme étant toujours sa recherche constante de la sécurité spirituelle, sociale et culturelle.

**les mots clés:** Importance, Social, Culturel, Festive, Hajj.

**توطئة:**

يعد الحج محوراً هاماً من محاور التراث الثقافي غير المادي في مصر. ورغم أن الحج يصنف ضمن الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات، فإن الحج من عناصر التراث الشعبي القليلة الشاملة والتي تحتوي على مظاهر فولكلورية حافلة بالتنوع والثراء والإبداع، وتهدف جميعها إلى إبراز البهجة بقدم موسم الحج الملازم لعيد الأضحى؛ ومن ثم تقوم المجتمعات المختلفة بالعديد من الممارسات التي تصاحب الاستعداد للحج ذهاباً وإياباً.

كما لا يمنع تلك الاحتفالية من احتوائها على ممارسات ذات خلفية اعتقادية مباشرة ترتبط بالدين وشعائره وجوانبه المختلفة توجد صيغة تصالحية بين الحياة اليومية وممارسات الشعائر الدينية بما لا يدع مجالاً للشك على أهمية الجانب الديني الروحي في حياة الإنسان.

ويُنظرُ إلى جوهر احتفالية الحج في درسنا الراهن بوصفها ممثلةً لمجموعة من الدلالات الاجتماعية والثقافية تلك المفاهيم والدلالات التي تعيننا على فهم أبعاد

الظواهر المرتبطة بممارساتنا وبمجتمعاتنا في الوقت ذاته، وبما يمكن أن تؤديه من أدوار مختلفة في توجيه السلوك الإنساني في واقعه بما يتفق مع رؤيته الدينية لهذه الشعائر الإيمانية والروحية التي ينشدها والتي قد يعجز الواقع الاجتماعي والديني عن تحقيقها له خلال مسيرته الحياتية العامة والخاصة.

الأمر الذي تحاول هذه الدراسة بيانه في سياقات - دينية واجتماعية وثقافية - متصلة بمستويات التعايش الإنساني الممكنة؛ إذ غاية الإنسان الأسمى - دوماً - بحثه المستمر عن الأمن الروحي والاجتماعي والثقافي.

ويظهر أهمية هذا الدرس في محاولة الكشف عن العادات والممارسات الطقوسية الروحية المقدسة والدينية والتغيرات المصاحبة لها؛ ذات الدلالات الاجتماعية والثقافية لمجتمع الدراسة لمعرفة مغزاها، والفهم الصحيح لرموزها ومقاصدها، وبالتالي إدراك انعكاساتها الإيجابية على المجتمع المصري.

لذا حددت الدراسة مجالها الجغرافي في قرية حفنا إحدى قرى محافظة الشرقية لانتماء الباحث لها، أما المجال البشري فقد تمثل في أفراد مجتمع الدراسة ممن قاموا بأداء مناسك الحج وأهلهم الذين ساهموا في إعداد احتفالية الحج احتفاءً بحجاجهم عند الذهاب والعودة من أراضي الحجاز المقدسة. معتمداً دراسة الحالة وتحليل المضمون منهجاً للدراسة.

### أولاً: مظاهر الاستعداد لرحلة الحج:

يحرص أغلب أفراد مجتمع الدراسة على أداء شعيرة الحج عندما يكبرون في السن أو في أواخر سنوات عمرهم، أو عندما تكون ظروف الأسرة المالية قد أصبحت أكثر يسراً واستقراراً وأمنًا. لذلك باتت رحلة الحج بمثابة الحلم الذي يتمناه الشباب وخاصة كبار السن للقيام به قبل موعد الرحيل.

وتمثل الأحلام بهذه الرحلة المباركة التي تسبق خبر الخروج إلى رحلة الحج مصدرًا من مصادر التقاؤل على المستوى الجمعي، وتختلف الرؤى والأحلام في تفسيراتها كما جاء في كتاب تفسير الأحلام لابن سيرين مثل:

- أنه من رأى أنه خارج للحج من وقته رَزَق وإن كان مريضًا عَوْفي أو مدينًا قُضِيَ دينه أو خائفًا أَمِن أو مُعْسِرًا أو مُسافرًا سَلِمَ.. أو خاسرًا رَجَحَ أو معزولًا رُدَّتْ إليه الولاية.
- ومن رأى أنه دخل الكعبة فإنه يدخلها إن شاء الله.
- ومن رأى أنه شرب من ماء زمزم فإنه يصيبه خيرًا أو ينال ما يريده.

وهناك رؤى وأحلام تمثل مصدرًا للتشاؤم في تفسيراتها وتعد مصدرًا لحزن صاحبها في عدم أهليته للخروج إلى الحج في عامه، ومن هذه الأحلام: من رأى أنه خارج للحج ففاته. فإن كان واليًا غُزِلَ وإن كان تاجرًا خَسِرَ وإن كان مسافرًا قُطِعَ عليه الطريق وإن كان صحيحًا مَرَضَ.

وتبدأ تلك الاحتفالية فور سماع الحاج لخبر فوزه في فُرعة الحج أو تَلَقَّيه تأشيرة الدعوة لأداء الفريضة بتحول منزل الحاج إلى مزار لجيرانه وأقاربه وأهالي قريته الذين يفدون لتهنئته، وتستمر الأفراح والغناء بالدفوف والزغاريد في كل يوم داخل منزل الحاج حتى حلول موعد سفره للأراضي الحجازية.

ومن أغاني التحنين التي تردد للتعبير عن الفرحة بذهاب الحجيج لرحلة الحج المشرفة أغنية (هنيالك يا حج):

|                      |                                   |
|----------------------|-----------------------------------|
| هنيالك يا حج         | مكتوبالك يا حج                    |
| مكتوبالك حجه هنية    | تركب مركب ومعدية                  |
| وأحبابك ألف وميه     | وهنيالك يا حج                     |
| هنيالك يا حج         | مكتوبالك تزور التهامي             |
| مكتوبه ع الباب قدامي | وإخواني بيدعو عقالي وهنيالك يا حج |

هنيالك يا حج      مـكـتـوبـك حج الرسول  
ملضومه بالخيط واللولي      يا أحبابي عنده أدعولي وهنيالك يا حج  
مكتوبك حج المدينة      مـكـتـوبـه وطه داعينا  
يا خواتي عقبال باقيننا      وهـنـيـالك يا حج

وتفيض رحلة مغادرة الحاج لأهله وأحابيه برمزية بالغة الدلالة، يخوض الحاج هذه التجربة وهو مستعد لها بالزاد والراحلة، واحتمال عودته إلي وطنه مرة أخرى قائم بعد أن يمن الله عليه بالمغفرة. فهي رحلة تبدو شبيهة بسفر لعودة منه، لأن الموت ينقلنا إلي عالم آخر حيث يكون القرار وكما يستعد الانسان لرحلة حجه، عليه أن يستعد لسفره الطويل.

وكانت لرحلات الحج قديماً تحضيرات خاصة لمن يريد الحج قد تصل إلى سنة أو أكثر قبل موسم الحج، منها:

- اختيار وكيل القافلة.
- تجهيز المواد الغذائية للرحلة.
- رفع العلم حيث يتم رفع بيرق (علم أحمر أو أبيض وأخضر) على أسطح البيوت دلالة على سفر أحدهم إلى الحج.
- يستأمن الحاج على أهله وماله بعض أقاربه وجيرانه حتى يرجع من الحج سالمًا، وذلك يعود للثقة الزائدة والترابط بين الجيران والأهل.

وعلى الرغم من التغيرات التي حدثت في كثير من المجتمعات العربية، إلا أن المصريين في الريف المصري لازالوا يستعدون للسفر للحج عقب ظهور نتيجة القرعة الخاصة بأسماء الحجاج المختارين من جانب الحكومة لآداء فريضة الحج أو عقب حصولهم على تأشيرة السفر من مكاتب السياحة الخاصة برحلات الحج والعمرة، وذلك من خلال:

## 1. طلب العلم بأمور الحج:

لاشك أن تعلم أمور الحج خاصة وأمور الدين عامة يؤدي وظيفة هامة في حياة الناس جميعاً وهي تدعيم التماسك الاجتماعي بينهم، في ضوء ارتباطهم به، وفي ضوء تركز ممارساتهم المختلفة حوله. فرغم أن الدين والشعائر المرتبطة به يمثل سلوكاً فردياً يحدد طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق، فإنه رغم ذلك يرتبط بتوجهات مجتمعية تنقله من الحيز الفردي الطقسي الضيق إلى الحيز الاجتماعي الاحتفالي الأوسع. فالدين يدعم التماسك الاجتماعي بين الأفراد، ويخلق إحساساً اجتماعياً عاماً بين أبناء الديانة الواحدة يؤدي إلى خلق إطار عام للتفاعل والتفاعل فيما بينهم من ناحية، ويحدد طبيعة وحدود التعامل والتفاعل مع أبناء الديانات الأخرى من ناحية أخرى.

وفي احتفالية الحج يستعد الحاج لمعرفة فروض وسنن الحج والمسائل الشرعية والواجبات الإنسانية بالاجتماع مع مَنْ مَنَّ الله عليهم بزيارة بيته الحرام، أو مع شيخ عالم بأمور الدين ليقوم بإحدى الوظائف الطقسية القولية أو اللفظية المتعلقة بالتلقين للحجاج وما يجب ترديده من طقوس لفظية في وقتها المعين. كما يشرح لهم المناسك المتعلقة بالحج وأصول التعامل الأخلاقي والديني، كما يتم تبادل الخبرات لمن سبق وأدى هذه الفريضة من قبل، أو من خلال سماع أجهزة الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة. وهو ما ذكرته إحدى إخباريات مجتمع الدراسة عن مرحلة تعلم الفرائض والسنن الخاصة بالحج من خلال مشاهدتها للفضائيات وخاصة القنوات الدينية ذائعة الشهرة: "نسمع قناة الرحمة عشان بيجي فيها ناس تتكلم عن الحج والعمرة عشان نتعلم المناسك اللي المفروض نعملها لما نروح عند الكعبة الشريفة ومسجد حبيبنا الرسول محمد ﷺ في المدينة المنورة"<sup>(1)</sup>.

## 2. إعداد وتجهيز الأطعمة الشعبية المرتبطة برحلة الحج:

وهي من المهام التي تسند إلى المرأة سيدة المنزل والتي اعتاد الحجاج أخذها معهم، سواء كانت المرأة سوف تذهب مع زوجها إلى رحلة الحج أو كان زوجها مسافرًا منفردًا دونها. وهي أطعمة ريفية جافة لا تتلف بالسفر أو طول المدة. وتحدثت الإخبارية عن تحضيراتها الحالية عند ذهابها لرحلة الحج أو العمرة بصحبة والديها وأخيها وزوجته فقالت: "أنا عشان من مصر أصلاً . القاهرة . مش مولودة في حفنا معملتش الحاجات اللي بيعملوها في الحج في البلد بس اشترينا قُرْصٌ وَجِبْنٌ وحلاوة وحاجات كثيرة تكفينا مدة العمرة أسبوعين ثلاثة"(2). وتزيد إخبارية أخرى على ما سبق بعض أنواع الأطعمة المعروفة بالزودة والتي لا تتأثر بعوامل الجو الحار الموجودة في مكة مثل: "الدقة" المصنوعة من السمسم المحمص و"الملوخية الناشفة" و"البامية الناشفة" و"العيش الناشف المحمص" و"الجبن القريش والجبنه الحادقة الممششة القديمة وبعض اللحوم اللي بنسويها نص سِوى ونحطها جوا غلب كبيرة مليانة بالدهن عشان تعيش مدة كبيرة تصل لأكثر من ثلاثة شهور . وهناك من يأخذ بعضًا من القمح والشعير لإطعام الحمام الموجود بساحة المسجد الحرام وخارجه"(3).

## 3. طلب العفو والتسامح والنهي عن الانتقام:

وهو إحدى الطقوس الروحية التي يحرص الحاج على القيام بها قبل سفره لأداء فريضة الحج لإرضاء الجميع وخاصة مصالحة من كانت بينه وبينهم خصومات أو عداوات، حتى يشعر بالرضا والتسامح مع الجميع ويُقْبَلُ على أداء الفريضة وهو في حالة نقاء نفسي حتى يذهب إلى بيت الله وهو خال من الذنوب، وتتم فريضته على الوجه الأكمل.

حيث يقوم الشخص الذي ينوي القيام بالحج في بعض قرى مجتمع الدراسة بالمرور علي بيوت جيرانه وأقربائه ليخبرهم بأنه ذاهب لزيارة الرسول ﷺ ويطلب منهم المسامحة والعفو والتصافي والدعاء له بشكل عملي وظاهر .

ويروي أحد كبار السن من مجتمع الدراسة عملية المصافحة والتسامح التي كان يحرص عليها طلاب زيارة بيت الله الحرام في الماضي بقوله: "كان الواحد يروح يزور اخواته وقريبه وجيرانه أهوه منه يودعهم ومنه ياخذ بخاطر الزعلان ويزور المريض يمكن الوشوش ماتتلاقاش ويطلب منهم الدعاء بالقبول.. أما دلوقتي . في الوقت الحالي . يأتي الناس لتوديع الحاج كزيارة عادية، فأصبحت الأمور روتينية جدًا، ولا تتوفر فيها الفرحة القديمة(4).

كما يحرص الحاج الذين ينوون الخروج إلى الحج أن يقوموا بسداد ما عليهم من ديون أو يسند ذلك إلى أكبر أولادهم سنًا لقضاء هذه الديون عنهم إن لم يرجعوا من رحلة الحج حتى يلقون ربهم وهم غير مديونين لأحد من عبادته. كما يحرصون أيضًا على رد الأمانات أو تسليمها كأمانة لأهل الثقة من أبناءهم أو أحد أقاربهم. فالحج رحلة روحانية عميقة في الذات قبل أن تكون انتقالاً من مكان إلى آخر، خاصة إذا توخى المؤمن تحقيق تلك الغايات والمقاصد التي تهدف إليها المناسك المرتبطة بهذا الركن الجليل من أركان الإسلام.

#### 4. زيارة الأضرحة:

وهي طقس روحي آخر كان يحرص عليه في الماضي من ينوي الذهاب للحج أن يقوم بزيارة أضرحة آل البيت أو بعض أضرحة الأولياء مثل: ضريح السيد البدوي بمدينة طنطا، أو أبو الحسن الشاذلي بالبحر الأحمر، من خلال زيارتهم والطواف حول الضريح ليتحصل منهم على البركة قبل الذهاب للحج وبعد العودة منه بوصفها ممارسات مكملة ومتممة لشعيرة الحج في المعتقد الشعبي. وهي ما كان يطلق عليها بعد العودة من رحلة الحج الكبرى برحلة "الحج الصغرى"

والتي ربما استعاض بها بعض الفقراء في حالة عجزهم عن حج بيت الله الحرام بوصفه موسمًا لحج الفقراء يؤدون فيه طقوسًا مشابهة لما يؤدونه حجيج بيت الله الحرام من طواف وسعي وهرولة حول الضريح، وهم يلبون بشكل جماعي "لبيك اللهم لبيك" في صورة مشابهة لما يقوم به الحجاج حول الكعبة المشرفة.

##### 5. زيارة الأموات وزمزمة الكفن:

وهي أيضًا من الطقوس الروحية التي تجسدت فيها فكرة الموت والتي تتشابه فيه الذهاب إلى رحلة لا يعقبها عودة، وتذوب فيهما الفوارق بين الناس في رحلتي الحج والموت، وخاصة في أحادية الرداء ذو اللون الأبيض للميت وللحاج وهما غير مخيطين؛ فالجميع فيهما متساوون لا يستطيع غني مهمما أوتي من أموال أن يتميز في ملبسه، وهو تجسيد واقعي حي لتلك اللحظة التي يفارق فيها المرء دنياه تاركًا ما خوله الحق إياه، مصداقًا لقول الحق Y: [وَلَقَدْ جِئْنَاهُ فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ] (5). فمن أدي فريضة الحج أو شاهد الحجيج عبر التلفاز فقد تقمص دور الميت الذي يفارق الدنيا. لذلك يحرص الحاج أو الحاجة التي تنوي الخروج إلى رحلة الحج على زيارة الأموات وخاصة ذوي القربى.

كما اعتاد بعض الحجيج شراء الكفن وحمله معهم إلى الحج ورشه أو غسله بماء زمزم تبركًا به ورغبةً في أن يكون ثياب الكفن به أثرٌ من ماء زمزم المبارك ليلقى به الله Y. وهناك من يطيبه بأنواع الطيب المستحبة في حياته ويشترط لكفنه أن يشتريه من مال حلال 100%. كما يحرص على شراء ملابس الإحرام من ماله الحلال الخاص.

كما يتمنى كثيرٌ من حجاج بيت الله الحرام الموت بالأراضي المقدسة أو بالروضة الشريفة والتي شرفت بوجود رسول الله ﷺ بين جناتها. لذا يحرص الحاج

على كتابة وصيته قبل سفره، وتوكيل أحد أفراد أسرته بإدارة شئون الأسرة وممتلكاته.

## 6. التمايز الاجتماعي الطبقي في احتفالية الحج:

ينعكس هذا التمايز الاجتماعي الطبقي داخل مجتمع الدراسة في الصيغة الاحتفالية للحج والذي بات واضحاً لدى الفقراء الأكثر حرصاً عليها من الأغنياء. ومن هذه المظاهر:

- أشكال الاحتفالات وطرق الزينة على وجه الخصوص.
  - وسائل النقل الخاصة بالحج والتي يمكن التعبير عنها من خلال جداريات الحج التي ترسم وتزين جدران منازل الحجاج ليظهر عليها الطائفة بدلاً من الباخرة أو الأتوبيس.
  - أداء فريضة الحج والتي عبر عنها (روبرت ايه فيرنا) في مقدمته لكتاب "رسومات الحج"<sup>(6)</sup>، بقوله: "إن الحج، بالإضافة إلى كونه فريضة دينية، يعد إحدى علامات التعبير عن الامتياز الطبقي أو الأبهة الاجتماعية أو المكانة خاصة في الأوساط التقليدية، التي تستند فيها المكانة إلى امتيازات من هذا النوع".
- إلا أننا نرفض هذه الفرضية التي بات معناها الديني والروحي غائباً عند روبرت فيرنا والتي لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال أداء هذه الفريضة . الروحية التي يحرص على أدائها وتمني القيام بها جميع المسلمين في بقاع الأرض المختلفة، دون مراعاة للبعد الاجتماعي أو التمايز الطبقي على نحو ما ذكر روبرت.
- ولا يعد نافلة للقول إذا ما وجدنا إبداع المصريين واضحاً جلياً في محاولاتهم الدائمة منذ القدم على تسجيل هذه الرحلة الإيمانية الافتراضية على جدران منازل الحجاج تطلعاً وشوقاً لزيارة بيت الله الحرام والوقوف بعرفة وزيارة الحبيب محمد رسول الرحمة ع في روضته الشريفة.

## 7. زي الحجيج والانسجام الاجتماعي:



يتمتع زي الحجيج المسافر إلى بيت الله الحرام لقضاء شعيرة الحج باللون الأبيض الدال

على نقاء الجسد ونقاء الروح. ويشترط في زي الرجال أثناء الطواف حول بيت الله الحرام كشف أو تعرية بعض أجزاء من الجسد مع لبس الرداء الأبيض

بكيفية مخصصة وشروط دقيقة في أيام معدودة لصحة (الطواف) كركن من أركان الحج.

وتتضح الدلالة الرمزية بين بياض رداء الحجّ وكفن الميت واضحة في الزهد في الدنيا والإقبال على الله بالنظافة المادية والروحية. فضلاً عما يحمله هذا الرداء في كلا الموضعين من قداسة تدل على الانتماء الديني لجماعة المسلمين تشير إلى ما يرتبط به من ممارسات طقوسية أو عادات اجتماعية أو أبعاد ثقافية تأخذ قدرًا من التميّز على مستوى العقيدة والتعاليم لدى الجماعة الشعبية على وجه الخصوص. ومن هنا يكون اللباس رسالة دينية ثقافية واجتماعية يأخذ قدسيته ورمزيته المبالغة قصد التميّز والحفاظ على وحدة المجتمع الاسلامي بوجه عام. ولكن الحج يُشعر الفرد بأنّ الزي ما هو إلا وسيلة من وسائل تغطية مساوئ الإنسان فحسب، وليس مظهرًا من مظاهر الطبقة والثراء والتميز والتفاضل الاجتماعي. فارتداء ثياب الإحرام البسيطة توفر للنظام الاجتماعي الإنساني موارد غير قليلة، عندما يتحتم على الحجاج ارتداؤها، وهي ثوبا الإحرام للرجل يأتزر بأحدهما، ويرتدي الآخر. ولاشك أن وجوب ارتداء قطعتين من قماش غير مخيط، لابد من أن يجعل الفرد يشعر بقيمته الحقيقية وتواضعه في الحياة الاجتماعية.

## 8. إقامة الولائم وليالي السمر لتوديع الحاج:

جرت العادة في اليوم الذي يسبق السفر مباشرة، يدعو الحاج أهله ومعارفه وعائلاته لتناول العشاء معه، حيث يقوم بذبح شاة أو خروف احتفاءً بهم، وتوزيعها على الفقراء والمساكين في هذا اليوم، ومضايفة الأهل والعشيرة أثناء استقبال الضيوف التي تودع الحاج. وفي السهرة يقوم بعض القراء بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم، وبعد العشاء في السهرة يوزع الشاي والقهوة والمرطبات. وقد أصبح هذا الذبح بمثابة طقس تقليدي يقدم إلى الأقارب والأصدقاء والجيران رمزاً للعطاء يهدف إلى توطيد صلة القرى وطلباً لدعواتهم وأمنياتهم للحاج بأداء فريضة الحج والعودة سالمين غانمين بمغفرة الله لذنوبهم. ومن الطقوس التي تتبع في هذه المناسبة إقامة ليالي السمر في منزل الحاج قبيل سفره حيث تتوافد الجيران والأصدقاء وتتطلق الأغنيات التي تعبر عن مشاعر الشوق لهذه الشعيرة المقدسة أو فيما يسمى بـ "حنون الحاج". وهي تعبر عن شوق الجميع إلى الديار الحجازية والكعبة المشرفة لأداء هذه الفريضة. وشوقهم وحنينهم لزيارة قبر الرسول ﷺ منها:

بالليل ما بنامشى .. والنوم جفانى وحتى الأكل ما باكلشى  
بقالى مدة نايم على فرشى  
جابه الطبيب يكشف على .. قلت له إيه يا طبيب اللى فى؟  
واللى توصفه يمشى

قال لى دواك تزور النبى .. قولت أروح ع القدم أمشى  
وسبت بلادى وولادى .. وطلعت ع الهاشمى القرشى  
لقيت الروضة الشريفة .. جمالها ما وصفشى  
ياللى معاك المال .. قوم يلاً ماتخفشى<sup>(7)</sup>

## 9. لواجب الاجتماعي الثقافي:

الواجب هو أحد أشكال التضامن والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، الذي يساعد على تماسك المجتمع من خلال طقوس وأشكال للعلاقات المتوارثة التي يلخصها المجتمع باعتبارها واجباً اجتماعياً ملزماً سواء كان في شكله المادي أو المعنوي. وخصوصاً الواجبات ذات الطبيعة الاحتفالية.

ومن فوائد هذا الواجب الاجتماعي:

- التقريب الاجتماعي وتقوية الروابط الإنسانية الجميلة.
  - إذكاء روح المودة والإخاء.
  - صلة الرحم وتقْدُّ الأقارب.
  - عيادة المرضى ومشاركة الأهل أفرانهم ومناسباتهم، ومساندتهم وإسعادهم.
- ولقد أضحت هذه الواجبات كالذَّين الاجتماعي واجب السداد، وبصفة خاصة مجتمع الدراسة بما له من ثقافة متماسكة وله خصائص مميزة في ذاتها، تدفع الفرد بناءً على معاييرها وقيمها إلى ممارسات ينظر إليها المجتمع العام بثقافته ومعاييرها على أنها سلوكيات وممارسات واجبة، بل ربما خلع عليه أبناء عائلته أوصافاً محببة نتيجة قيامه بهذه الواجبات تجاه الحجاج من أهله أو من أهل مجتمعه.

ويرتبط الواجب في احتفالية الحج بمرحلتَي الذهاب والعودة ونعرض لهما على النحو التالي:

### أ. نقاط الحاج:

يعتبر الاهتمام بأداء الواجب تجاه الحاج هو الخاصية الرئيسية لثقافة الطبقة الدنيا، والذي

يمكن أن يحقق نهايةً مرغوباً فيها لتحقيق مكانة اجتماعية داخل إطار الثقافة الفرعية. حيث يحرص الكثير من أفراد مجتمع الدراسة علي مجاملة جيرانهم

عندما ينوي أحدهم القيام بالسفر لأداء رحلة الحج، فيسرعون حاملين (الحمولات) بعضًا من المحاصيل الزراعية أو المواد الغذائية من أرز وقمح وسكر وزيت وغير ذلك؛ والتي قد تساعد الحاج وأهله في التخفيف عن كاهلهم من نفقات الحج وخاصة في إعداد الأطعمة وغيرها التي تقدم إلى زوارهم أثناء فترة الوداع قبيل السفر للحج.

وهناك من يقدم نقوطاً مادية (نقوداً) يختلف باختلاف القدرة المادية والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها أو مدى مشاركة الحاج المسافر لأقاربه في أداء مثل هذه الواجبات، بوصف النقود المقدمة في تلك الحالة واجبة السداد للحاج وأهله. وهو يعد . الواجب . بمثابة مشاركة ومساعدة على نفقات الحج وبالتالي يقوم الحاج بإحضار هدية معه عند عودته لأصحاب هذه الواجبات.

### ب طلب الهدايا من الحاج:

ومن العادات الشعبية طلب الهدية من الحاج قبل أن يسافر، وهي عملية متبادلة من حيث تبادل الهدايا واجبة الرد، والتي قد يبالغ في الإكثار من الهدايا التي يحملها الحاج معه إلى الأقارب والجيران والأصحاب. وهذا بطبيعة الحال يشكل إرهاباً مادياً، والتزاماً بقيود اجتماعية لا فكاك منها، ورغم ذلك، فإن المجتمع يكرس هذه الظاهرة. مثل طلب ماء زمزم أو سبحة من رائحة المكان الطاهر..إلخ.

### ثانياً: مظاهر الاحتفال بتوديع الحجاج:

يخرج الحاج من بيته مرتدياً ثيابه البيضاء أو زي الإحرام، في موكب إما سائراً على قدميه أو راكباً سيارة أو حصاناً أبيض بمصاحبة فرقة شعبية بالطبلة والمزمار البلدي. ومن ثمّ يتم إلقاء الورود والحلوى عليه. ويقوم البعض من أهالي الحجاج برش الماء خلف الحاج بعد خروجه من باب بيته تقاولاً بعودته.



وفي الماضي كان يوم  
السفر يخرج الحاج أو مجموعة  
الحجاج المسافرون في موكب  
عظيم بصحبة الأهل والأصدقاء  
إلى أقرب محطة قطار تتبعه  
الدفوف والأغنيات ولا ينسى  
التأكيد على الدعاء المستجاب في

هذه الأراضي المقدسة ثم يستقل الحاج القطار متجهاً إلى الميناء لركوب باخرة الحج.  
وكان حجاج مصر في الماضي يتجمعون من جميع المناطق المصرية في  
مكان على مشارف مدينة القاهرة يسمى بركة الحاج، والتسمية مشتقة من مكان بروك  
جمال الحجاج وتجمعها، وهو ما جعل هذا المكان يُضمُّ إلى الأماكن المقدسة؛ ومن ثم  
حظي بالدلالات الرمزية التي يكمل بها علاقة الديني المقدس بالدنيوي في الرحلة  
الحجبة.

ولازال الأهل والأحباب يخرجون لوداع الحجاج جميعاً في ساحة رئيسية أو  
مكان خلاء واسع، حيث تصطف الحافلات لنقل الحجاج في عرس اجتماعي مهيب،  
يشارك فيه معظم أهل البلدة، وهم يهزجون بالأنشيد الجماعية في وداع الحجاج،  
والدعوة لهم بالسلامة مغفوري الذنب، ويحملونهم السلامة لقبر الرسول ع، ولمدينته  
الطيبة مع إطلاق الزغاريد التي تصاحب الحاج أثناء خروجه، تعبيراً على الفرحة  
بالسفر للحج.

ومن أغاني التحنين التي تزيد من التشويق والحنين لزيارة بيت الله الحرام  
والكعبة المشرفة وقبر الرسول ومسجده ع كنوع من تلبية النداء لأداء فريضة الحج:

رايحة فين يا حاجة .. يا ام الشال قطيفة

رايحة أزور النبي محمد .. والكعبة الشريفة<sup>(8)</sup>

كما يحرص كل فرد من أهالي الحجاج على مصافحتهم وتقبيلهم سائلينهم الدعاء وقراءة الفاتحة لهم عند النبي الكريم ﷺ، وأن يعيدهم إليهم سالمين غانمين المغفرة من كل ذنوبهم، والتقاط صور تذكارية معهم. ويحرص أهالي الحجاج على رفع الرايات البيضاء على أسطح السيارات معبرين عن فرحتهم بحجاج بيت الله الحرام.

وعندما يصعد الحجاج الحافلات، توجه الدعوة لهم لإرسال الأخبار الطيبة مع القادمين من مكة عقب رحلة الحج والاتصال بهم طوال مدة إقامتهم بأرض الحجاز.

### ثالثاً: جداريات الحج:

قبل انتهاء موسم الحج بأيام تبدأ ربات البيوت بالاستعداد لاستقبال حجاجهم بشوق بالغ، ويحرصن على طلاء المنازل ودهانها باللون الأبيض من الخارج "النورة البيضاء أو الجص".

وكانت معظم هذه الرسومات تتم على جدران البيوت الطينية ومع تقدم المجتمعات وانتشار البيوت الخرسانية وسيطرة بعض الظروف المعيشية أصبح الحرص على هذه العادة (طلاء واجهة منزل الحاج قبل عودته) تتلاشى تدريجياً إلا من بعض البيوت في ريف مصر. مع استتجار أحد الخطاطين أو الرسامين الشعبيين المشهورين والموهوبين في القرية أو من قرى مجاورة ليرسم بعض الرسوم الشعبية الدالة على بعض الوسائل التي اعتاد الناس على السفر والعودة بها مثل: الباخرة في الماضي أو الطائفة حديثاً. وكذا رسم بعض الرموز المرتبطة بأداء شعائر الحج مثل صور الجمال وصور الكعبة والحرم المكي والنبي. وكتابة بعض الأحاديث المشهورة فوق جدران الحوائط بعد دهانها بالألوان المبهرة والزاهية التي تجذب انتباه الناظرين إلى وجود حجاج بهذا المنزل قد أدوا شعيرة الحج أو ينتظر أهلهم عودتهم من أراضي الحجاز المقدسة. فيشاركونهم الدعوات والأمنيات بعودتهم سالمين مقبولين عند رب العباد I.

وهو ما يعكس ميل الجماعة الشعبية إلى الترميز أو الرمزيات والدلالات المختلفة. والتي أشار لها (رشدي صالح) بقوله: "يميل الفلاحون . ويقصد الشعب . إلى الترميز دون التقرير والتلميح دون التصريح، والكناية دون الإفصاح، ومرد ذلك إلى طول ما اضطرتهم حياتهم إلى مداراة أهل السلطة وستر معايهم عن المستبدين، ثم تقبل الخوارق مما يستتبع كثرة التضمينات الأسطورية والصور البارعة في مآثوراتهم..."<sup>(9)</sup>.

وتعرف جداريات الحج بأنها: عبارة عن رسوم ذات بعدين وأحياناً تستخدم فيها عناصر الظل والنور كنوع من أنواع التصوير توضع على جدران المنازل للتعبير عن بعض المظاهر الدينية أو الاحتفالات الاجتماعية، وتستخدم أيضاً في تزيين بعض واجهات بيوت الطبقات الدنيا كتقليد لبعض الأنماط المعمارية لبيوت الطبقة العليا، وأحياناً يستخدمها بعض أصحاب الحرف التقليدية للإعلان عن حرفهم وهي عبارة عن عناصر فنية يدور أغلبها في رسوم تخص مناسبة الحج وبعضها عبارة عن زهور وشخصيات دينية وعناصر بيئية وكتابات وأدعية دينية وزخارف يغلب عليها الطابع الهندسي، تستخدم في الإعلان عن مناسبات زيارة الأماكن المقدسة وبعض مناسبات الزواج والإعلانات والانتخابات وتجميل الواجهات من الخارج والداخل ويستخدمها بعض أصحاب الحرف للإعلان عنها<sup>(10)</sup>.



وتسجل جداريات الحج فوق منازل الحجاج رحلة روحية مقدسة، عبر زمان ومكان لهما قدر من التقديس، لتعلقهم بأداء الفريضة والركن الخامس من أركان الدين الاسلامي

الذي يتمنى كل مسلم ومسلمة أدائه في حياته وفي ريعان شبابه حتى يصل إلى النشوة واللذة الروحية الخاصة بهذه الرحلة المقدسة.

كما أن هذه الجداريات المصرية وما تحمله من إبداعات فنية ذات جذور فرعونية تشير إلى تلك الرسوم والنقوش الدينية التي تنتشر في المقابر والمعابد المصرية القديمة بجانب عثور علماء المصريات على العديد من الأدلة الأثرية التي تؤكد وجود نقوش على جدران بعض المنازل وذلك على غرار الرسوم التي تزين واجهات منازل سكان النوبة في أسوان. أما أول رصد لرسوم وجداريات الحج في العصر الحديث فكان على يد بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في نهاية القرن التاسع عشر (11).

وقد وثق المستشرق البريطاني الأشهر (إدوارد لين) الذي اكتسب معرفة أكبر بالمصريين ونظرة أعمق وأشمل عن تقاليدهم المتوارثة وتفاصيل حياتهم اليومية، خلال عودته الثانية إلى القاهرة في الفترة 1833-1835م وتزيًا بالزي الشرقي، واختلط بالمسلمين في المساجد والأسواق والحارات، وبعد أن تحدث عن المحمل ومراسم استقباله فيما كان يعرف بـ (نزلة المحمل).. قال (..ويزين المصريون مدخل منزل العائد من الحج قبل نحو ثلاثة أيام من وصوله، فيلونون الباب والحجارة باللونين الأحمر والأبيض، وإن كانت الحجارة من الآجر فتزين أحيانًا الجمال باللون الأخضر أو الأسود أو الأحمر أو غيرها من الألوان بطريقة بدائية). وكان الحجاج قديمًا يخوضون غمار رحلة صعبة وشاقة إلى بلاد الحجاز، وكانت محاولة تسجيل وقائعها أمرًا مهمًا وجانبًا يدعو للفخر بين المقربين بأداء مناسك طاعة الله والتبرك بها في حياتهم، ومن جهة أخرى فإن هؤلاء البسطاء عادةً لا يكونون قد سافروا برحلة سواها لخارج القطر المصري (12).

وكانت بداية جداريات الحج عبارة عن كتابات بخط بارز تعلن عن أداء صاحب البيت أو أحد أفرادة لفريضة الحج، وتخليد الذكرى أدائهم لمناسك الحج.

وكانت صور السفن في جداريات الحج كانت هي المنتشرة في بداية القرن الـ 19 ثم بعد ذلك أدخلت صور الطائرات على الحوائط والجدران.

ثم تطور الأمر إلى أن أصبح فناً وظاهرة شعبية تلفت أنظار الباحثين الأجانب أمثال (آن باركر و افون نيل) اللذين أصدروا كتاباً وثائقياً حول تسجيلاً للعشرات من جداريات الحج في ريف مصر (13).

حيث ابتكر الفنانون الشعبيون مظاهر للاحتفال بالرحلة منها تزيين الحوائط الخارجية بعبارات ورسوم أصبحت بمرور الوقت أيقونات ثابتة، وهى تعكس ثقافة المجتمع الذى نشأت فيه من موتيفات أو وحدات زخرفية وطرق للخط والكتابة المختلفة، حتى أصبح لهذا النوع من الفن متخصصون وغالباً هم خطاطون، وهو يختلف عن اللوحات التشكيلية التى عبرت عن الحج سواء بفن الخط أو التصوير.

ومن أهم العناصر والموضوعات المرتبطة برحلة الحج التي يحرص الفنان الشعبي على رسمها وكتابتها ما سوف نعرض لها في الفقرة التالية للوقوف على أهميتها ودلالاتها الاجتماعية والثقافية والدينية المختلفة:

## 1. آيات قرآنية:

أ. البسملة: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ].

ب. وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (14).

ج. [وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ] (15).



## 2. أحاديث نبوية:

أ. من زار قبري وجبت له شفاعتي.

ب. ما بين قبري ومنبري روضة

من رياض الجنة.

ج. الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

د. شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ه. حج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

### 3. أقوال دينية:

. لبيك اللهم لبيك.

. حج مبرور، وذنب مغفور، وسعي مشكور.

. يا رب سترك ورضاك.

. هذا من فضل ربي.

### 4. كلمات ترحيبية بالحجاج:

. ألف مبروك يا حاج. . أهلاً وسهلاً بالحاج.

. الحمد لله على السلامة.

### 5. أقوال شعبية:

. يا داخل هذا الدار.. صل على النبي المختار ع.

. يا داخل هذا المكان.. صلي على النبي العدنان ع.

### 6. وسائل نقل الحجاج:

كان أداء الحج حتى

الحرب العالمية الثانية مغامرة

كبرى، تستغرق شهوراً عديدة

ذهاباً

وإياباً، بدءاً بمشقة السفر في

الصحاري، ومخاطرها الجمة في ظل وسائل نقل بدائية؛ كالجمال والبغال والحمير،

وانتهاءً بركوب البحر في قوارب ومراكب بدائية تسمى "الجلاب"، والتي وصفها الرحالة



ابن جبير بقوله: "يحشر فيها الحجاج حشراً، وكأنها أقباصٌ للدجاج"<sup>(16)</sup> وقد حرص الفنان الشعبي على رسم وسائل النقل هذه والتي تسجل طرق الانتقال إلى الأراضي الحجازية عبر الزمان، التي يستقلها الحاج للوصول إلى مكة المكرمة؛ بدءاً من ركوب النوق والجمال مروراً بالسفينة أو الباخرة والطائرة والأتوبيسات السياحية المعدة لذلك. ورغم تغير وسيلة الانتقال، فقد ظلت وسائله ذات دلالة رمزية، فالجمل والوابور . قطار النبي . والسفينة والطائرة هي جميعاً وسائل انتقال إن لم تظهر جميعاً ظل أحدها رمزاً للارتحال للحج.

#### رابعاً: عادات مستحدثة في الحج:

يقترن مفهوم العادات المستحدثة بالتجدد المستمر والتحول الذي يقترب أحياناً من الموروث وينفلت منه دون الإعلان عن إلغائه، وما يلبث أحياناً أخرى أن يعود إليه تثبيتاً أو توثيقاً لتأكيد صلته به. فالعادات المستحدثة ليست مجرد تراث معزول عن الحياة اليومية بل هي لبها والعرق النابض منها، والشكل الصادر فيها والناشئ عنها.

وتستمد الممارسات الجديدة نوعياً وجودها الشرعي من ثقافة العولمة باعتبارها منظومة ثقافية جديدة تمتاز بخصوصيتين هامتين متماثلتين: الأولى: هي كونها مختلفة اختلافاً كافياً عن أشكال التجربة أو الأنماط السلوكية المعتادة السائدة لدى الحضارة الغربية (تضفي عليها سمات ثقافية خاصة بالمجتمع والتي تمارس فيه هذه الثقافة الجديدة)، والثانية: أنها في الوقت نفسه لا يبرز اختلافها هذا ذاته تحت عنوان الغربة في المجتمع التي تتاجر بنفسها، بل تحاول هذه العادات استخراج أو تأصيل المبررات على وجودها تحت راية الجدية والأصالة الدينية.

ومن أهم هذه الممارسات والعادات المستحدثة المرتبطة برحلة الحج:

## 1. طلب الدعوات على وسائل التواصل الاجتماعي:

حيث يقوم بعض الأفراد من أهل الحاج وأصدقائه على صفحات التواصل الاجتماعي بطلب

الدعوات منه وخاصة عندما يطلب منهم من خلال وضعه رسالة يعلن فيها عن عزمه ونيتته في التوجه لأداء فريضة الحج العام طلباً لتوديعه هو ومجموعة من أصحابه بأجمل الدعوات مثل:

"إلى كل أحبتي أنا ابتدئ مسيرتي لرحلة حج بيت الله الحرام هذا العام...".

وهناك طلبات أدعية من الزملاء والأصدقاء كثيرة منها ما ورد على ألسنتهم ومنها ما يتم الاستعانة به من صفحات الإنترنت مثل:

. إذا وصلتكم سالمين للحج فبلغوا مني السلام على أهل ذاك الوادي.

. العيد يكمل بقبول الله العمل وبرجوعك يا حاج يلتئم والله الشمل.

. اللهم سلم الحجاج والمعتمرين في برك وبحرك وجوك.

## 2. سيلفي الحجيج:

تمثل الصور الشخصية أو العائلية "السيلفي" التي يحرص الحجيج على التقاطها لأنفسهم في جميع مراحل الحج من الطواف إلى عرفات إلى رمي الجمرات. بمثابة حرص منهم



على تسجيل تلك الأحداث والشعائر الدينية التي ربما لا تتكرر كثيراً في حياتهم وتوثق وجودهم في المشاعر المقدسة.

كما تعد هذه الصور رمزاً وشكلاً من أشكال التواصل الاجتماعي الذي يعكس الطابع الاجتماعي والثقافي لجماعة من الناس، وتمثل محور اهتماماتهم، سعيًا لإشباع



احتياجاتهم الاجتماعية وتتفق واتجاهاتهم وميولهم وسلوكياتهم، سواء أكانوا كباراً أم صغاراً، ذكوراً أم إناثاً، والتي تمثل في مجملها ثورة على المألوف.

وربما يتم ذلك في خوف وقلق تام من أن تكتشف مخالفتهم ويتعرضوا للعقاب أو لا يتمكنوا

من إشباع رغبتهم لأنهم قد يخالفوا البعض وهم يعلمون أنهم سيكتشف أمرهم، وتعتبر هذه حالة انحراف فردي متوقعة في أي مجتمع، قد تستمر لفترة مؤقتة وقد تستمر وتحول إلى مركزية وتفرض سلوكاً جديداً يتبناه المجتمع ككل.

وبالرغم من وجود بعض الانتقادات التي توجه لأفكار أصحاب هذه العادات المستحدثة في رحلة الحج داخل هذه الأماكن المقدسة، إلا أن ذلك لم يقلل من وجودها بل وربما أهميتها لمساهمتها في فتح المجال لإجراء المزيد من التنقيح للعادات والتقاليد لتساير روح العصر الحديث، وتعمل على تفهم واقعية عمليات التحديث المستدامة داخل المجتمعات الإسلامية والعربية على حد سواء.

### 3. الحج الطبقي:

حيث انتشر في الآون الأخيرة بعض مظاهر الترف والرفاهية التي يعيشها الحجاج، من رجال الأعمال والسياسيين والفنانين، في ظاهرة الحج الأرستقراطي في "منى". وتتمثل تلك الظاهرة في خيمة مصرية ٥ نجوم، يرتادها الحجاج، وتشهد مظاهر للترف، ك"المساج والبوفية المفتوح"<sup>(17)</sup>.



كما تمثل الخيمة تجمعًا كبيرًا من أفراد الطبقة "المخملية"، من مصر والدول العربية، حيث عالم من الرفاهية والترف، حيث أنها: "في جانبيها تصطف كراس بيضاء ذات إستخدام مُتعدد، للجلوس أو النوم، وأخرى للمساج". ويتوسط الخيمة بوفيه

ضخم يحمل من أصناف الطعام كل ما يخطر على البال، وينتشر حول الحُجاج عدد كبير من العمالة والخدم يوزعون العصائر وقطع الحلوى الطازجة والمبردات باهظة الأثمان.

هذا إلى جانب أن أغلب هؤلاء الحجاج يأتون بطائرات خاصة، ويكتفون بليلتين في (منى)؛ لإنشغالهم بأعمالهم الخاصة، كما يخصص لإسماعهم المواظ



أحد نجوم الدعوة في الفضائيات، وعدد من الآيات القرآنية من المقرئين المشهورين، ثم يتوجهون لرمي الجمرات ومنها إلى الفندق الملاصق للحرم.

كما أنه يتم الإستعانة بطباخين من

5 جنسيات كل في تخصصه، بينهم سوريون ومصريون ويمنيون، مُشيرًا إلى أن تكلفة الحاج الواحد تتراوح بين 80 إلى 100 ألف ريال للشخص الواحد، حسب الخدمات المطلوبة، وموضحًا أن النسبة الأعلى من حجاج هذه الفئة، من المصريين والخليجيين والليبيين والمغاربة، ويتضمن البرنامج، مصاحبة كبار المشايخ من النجوم، وآخرين من المملكة العربية السعودية.

#### 4. شراء هدايا الحجيج من مصر:

ظهرت في الآونة الأخيرة دعوات تنادي بشراء الحاج هداياهم لأقربائهم من مصر قبل عودتهم من خلال أبنائهم وذويهم؛ بدلاً من أن يكلفوا أنفسهم أموالاً طائلة مع مشاققة العناء في حمل الهدايا عبر وسائل النقل المختلفة. فضلاً عن إمكانية فقدان هذه الهدايا . وهو أمر وارد . إلى جانب القناعة التي باتت واضحة لدى معظم حاج بيت الله بعدم وجود اختلاف بين مشتريات ومستلزمات الهدايا من الأراضي المقدسة ومصر فكلها ذات مرجعية صناعية وجودة وأسعار واحدة وهي الصين في الأغلب الأعم.

هذا إلى جانب طقوس الترف والبذخ المبالغ فيه في شراء الهدايا على كثرتها وتنوعها بحجة حاجة الأسرة والأقارب لتجهيز فتياتهن المقبلات على الزواج من المفروشات والأدوات الكهربائية المتنوعة، مما يعكس المستوى المادي للعائلة ووضعها الاجتماعي داخل مجتمع الدراسة.

#### خامساً: عودة الحجيج:

يعيش أهل القرية حالة من الانتظار الصعب، مصداقاً لما يقال (الانتظار موت) إلى أن يعود حجيجهم سالمين، فتتقلب المعادلة، ويتحول القلق والترقب إلى عرس كبير، والحزن إلى مسرة، وتتطلق النيران والزغاريد، ويصبح للغناء طعم آخر يدخل البهجة في القلب.

وتختلف مظاهر الاستقبال والضيافة حسب المستويات الاجتماعية. التي ترصد البعد الاجتماعي بتجلياته المتنوعة، بوضع الحاج في بيئته، بعد إجراء الفريضة والعودة لتستقبله بمراسم تعبر عن الفرحة بعودته، حيث تُنشر الزينة، ويعلن عن القُدوم بالذكر والتكبير ورفع الأذان، وتنتحر الذبائح، وتضاء الأنوار والمصابيح؛ كل ذلك لإضفاء الرونق والأبهة في الاستقبال.

كما يمكن التعرف إلى البعد الطبقي ومنطق التباهي والتفاخر ضمن منطق الاستهلاك، ويبرز التقنن بأشكال جديدة، والمبالغة في الممارسات. وما يرافق ذلك من أهازيج، وزغاريد، واحتفالات، وأناشيد، وضرب الطبول، والمزاهر، والصنوج، والعيارات النارية، وإطلاق العنان لأبواق السيارات، وهذا مشابه للأعراس والمناسبات الاجتماعية.

وتمثل عودة الحجاج بعد قضائهم شعييرة الحج بمثابة عهد وميلاد جديدين تتجدد في سلوكهم ومشاعرهم الغاية الأكبر لرحلة الحج التي تحمل الكثير من الدلالات الاجتماعية والثقافية التي ترتبط بالتغيرات المصاحبة لسلوكه الاجتماعي وما يرافقه من سلوك جمعي ينتهي إلى تغيير اجتماعي على كافة المستويات التعاملية والعائلية والاجتماعية وأهمها:

- إشاعة روح المحبة والتسامح وتقوية الروابط الأخوية.
- الإيثار والتضحية والإحسان والبذل والعطاء بالجهد والنفس والمال.
- اكتساب الأخلاق الحسنة، والابتعاد على الأخلاق السيئة.
- الصبر على الطاعة والصبر على أذى الآخرين له.
- التواضع لله، والتخلي بالتواضع مع الناس.
- الرفق بالضعفاء.
- محاربة الانعزال الاجتماعي: وذلك من خلال:
  - ✓ التهيؤ الاجتماعي للسفر الذي يجمع الأفراد لفترة زمنية معينة، مما يساعدهم على كسر طوق العزلة الاجتماعية.
  - ✓ فكرة الاستطاعة تشجع الأفراد على العمل الجاد من أجل التحصيل المالي والاكتفاء، وهذا يبعد الأفراد عن الكسل ويبعدهم عن الانعزال أيضاً؛ لأنّ التكسب غالباً ما يكون جماعياً.

✓ تعكس مناسك الحج طبيعة التجمع الإنساني، فالمسلك الجماعي في العبادة يمنح الفرد شعورًا بالاندماج مع الأمة الكبيرة المنتشرة في كل بقاع الأرض.

### 1. توزيع الهدايا المباركة من الأراضي المقدسة:

تمثل عملية الشراء التي يقوم بها الحاج أثناء حجه نوع من السياحة التجارية. وعادة الشراء للمنتجات التي تمتلئ بها الأراضي الحجازية والتي تحمل رمزًا دينيًا ونفسيًا وهو الحنين إلى بيت الله الحرام وزيارته عبر الحج أو العمرة لتقديمها كهدايا لأهله وأقربائه عقب عودته من رحلة الحج. فالهدايا هي من مستلزمات الحج، ومن بركته كونها تحمل بصمات الديار المقدسة سوا من مكة المكرمة أو المدينة المنورة وما بينهما.

حيث يقوم الحاج بعد عودته بتوزيع الهدايا التي تم شراؤها. أهل بيته وزواره من الأقارب والجيران. ومن أهم تلك الهدايا : ماء زمزم الذي يرتبط بممارسة تحمل بداخلها قدرًا اعتقاديًا حول الماء واستخدامه كطب بديل لعلاج بعض الحالات المرضية أو للدعاء قبل شربه مع التمني بقبول الدعاء. وكذا سجّادات ومساح الصلاة والعطور والتّمر والعسل وصور الحرمين الشريفين. هذا إلى جانب الجلايب والطواقي البيضاء. والعباءات النسائية. وقطعًا من القماش. ولأطفال الحاج وأحفاده الملابس الجديدة والألعاب المتنوعة وغير ذلك.

### 2. الحج من الطقس الديني إلى الطقس الاجتماعي:

رغم أن غالبية الحجاج يؤدون الفريضة ابتغاء مرضاة الله باعتبارها ركنًا مهمًا من أركان الإسلام، ويدفعهم الشوق لتكرار الحج والزيارة كلما آن الأوان، إلا أن لقب حاج الذي يحصل عليه الحاج بعد أداء الفريضة هو لقب تشريفي مستحق لكل من زار بيت الله الحرام حجًا كان أو معتمرًا، ويظل هذا اللقب عنوانًا يتوج سيرة حامله ويرتقى به لأن يكون القدوة لغيره سلوكًا ومثالًا<sup>(18)</sup>.

وهو أحد مؤشرات ودلالات الحج الاجتماعية الثقافية من خلال اعتباره طقساً للعبور الاجتماعي يعطي الحاج مرتبة متميزة دينياً في جماعته من خلال اللقب الذي يكتسبه. فطقوس مرور المسلم من مسلم إلى مسلم حاج ضمن جماعته، تترافق مع الكثير من الدلالات والمعاني والمؤشرات من خلال الاحتفاليات التي ترافق الحاج لا سيما عند عودته، والتي تتجسد في الزي، وفي الإشهار من خلال (الزفة، والزينة)، في موضوع التبادل الرمزي بين أدوات ومواد لها معان دينية وبين الهدايا الاجتماعية. ويحظى الحاج عقب عودته بمعاملة خاصة وسط مجتمعه فهناك أكبر قدر من درجات التوقير باعتباره (الحاج) أقرب واحد من أفراد المجتمع حداثة ببيت الله وزيارة الرسول ﷺ، فيكسبه ذلك التقديم على غيره في المحافل والمناسبات الاجتماعية احتراماً له ويتمناً بقدسية الحرمين الشريفين. ويكون النداء دائماً له مسبقاً بلقب "الحاج"، ويعدّ هذا اللقب جزءاً أصيلاً من هويته<sup>(19)</sup>

**الهوامش:**

- <sup>1</sup> الإخبارية رقم (2): أ. م. ع: 38 سنة، مقابلة بمنزل الإخباري قرية حفنا، مركز بلبس، محافظة الشرقية، بتاريخ 2018/1/24م.
- <sup>2</sup> المصدر السابق نفسه .
- <sup>3</sup> الإخبارية رقم (3). ز. أ. أ: 45 سنة، مقابلة بمنزل الإخبارية قرية حفنا، مركز بلبس، محافظة الشرقية، بتاريخ 2018/1/27م.
- <sup>4</sup> الإخباري رقم (1). م. ع. م: 67 سنة، مقابلة بمنزل الإخباري قرية حفنا، مركز بلبس، محافظة الشرقية، بتاريخ 2018/1/24م.
- <sup>5</sup> سورة الأنعام، الآية(94).
- <sup>6</sup> أفون نيل، رسومات الحج: فن التعبير الشعبي المصري عن الرحلة المقدسة، تصوير: آن باركر، ترجمة: حسن عبدربه المصري، المركز القومي للترجمة، العدد (1495)، الطبعة الأولى، 2010م، 200ص.
- <sup>7</sup> حامد أنور، أشكال الغناء الشعبي في الشرقية "غرب الزقازيق نموذجاً"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، العدد(120)، 2008م، 88 صفحة، ص27.
- <sup>8</sup> المرجع السابق نفسه، ص30.
- <sup>9</sup> أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص65
- <sup>10</sup> محمد الجوهري، موسوعة التراث الشعبي، المعتقدات والمعارف الشعبية، المجلد(5)، مج6، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد(147)، 2013م، ص157-158.
- <sup>11</sup> هدى خليل، الحج في ذاكرة مصر.. تقاليد وطقوس متوارثة من عهد الفراعنة، الأقصر، استرجاع بتاريخ 16 فبراير 2014 م، موقع الدستور: [dostor.org/86753](http://dostor.org/86753)
- <sup>12</sup> إدوارد وليم لين، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، مصر ما بين 1833-1835، ترجمة: سهير دسوم، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1991م.
- <sup>13</sup> أفون نيل، رسومات الحج، مرجع سابق.
- <sup>14</sup> سورة آل عمران، الآية (9).
- <sup>15</sup> سورة الحج، الآية (27).
- <sup>16</sup> أحمد غرابلي، فرانس برس، محمد كريم، فولكلور الحج: الاحتفالات في الريف والصعيد المصري، استرجاع بتاريخ 2016/9/13م، موقع العربية: <https://www.alaraby.co.uk/>
- <sup>17</sup> فرح الأعصر، المدار، المدار تنشر مظاهر الحج على الطريقة الأرستقراطية، استرجاع بدون تاريخ، موقع المدار: <http://elmadar.org>
- <sup>18</sup> مجدى شلبي، التقاليد المرتبطة برحلة الحج في(القرية المصرية)، مجلة (الحج والعمرة)، وزارة الحج السعودية، عدد ربيع أول 1427هـ / 2006م.
- <sup>19</sup> هدى خليل، الحج في ذاكرة مصر، مصدر سابق.

#### قائمة المراجع:

1. الإخبارية رقم (2): أ. م. ع: 38 سنة، مقابلة بمنزل الإخباري قرية حفنا، مركز بلبيس، محافظة الشرقية، بتاريخ 2018/1/24م.
2. الإخبارية رقم (3). ز. أ. أ: 45 سنة، مقابلة بمنزل الإخبارية قرية حفنا، مركز بلبيس، محافظة الشرقية، بتاريخ 2018/1/27م.
3. الإخباري رقم (1). م. ع. م: 67 سنة، مقابلة بمنزل الإخباري قرية حفنا، مركز بلبيس، محافظة الشرقية، بتاريخ 2018/1/24م.
4. سورة الأنعام، الآية(94).
5. أفون نيل، رسومات الحج: فن التعبير الشعبي المصري عن الرحلة المقدسة، تصوير: آن باركر، ترجمة: حسن عبدربه المصري، المركز القومي للترجمة، العدد (1495)، الطبعة الأولى، 2010م، 200ص.
6. حامد أنور، أشكال الغناء الشعبي في الشرقية "غرب الزقازيق نموذجاً"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، العدد(120)، 2008م، 88 صفحة، ص27.
7. أحمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص65
8. محمد الجوهري، موسوعة التراث الشعبي، المعتقدات والمعارف الشعبية، المجلد(5)، مج6، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد(147)، 2013م، ص157.
9. هدى خليل، الحج في ذاكرة مصر.. تقاليد وطقوس متوارثة من عهد الفراعنة، الأقصر، استرجاع بتاريخ 16 فبراير 2014 م، موقع الدستور: [dostor.org/86753](http://dostor.org/86753)
10. إدوارد وليم لين، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، مصر ما بين 1833.1835، ترجمة: سهير دسوم، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1991م.
11. سورة آل عمران، الآية (9).
12. سورة الحج، الآية (27).
13. أحمد غرابلي، فرانس برس، محمد كريم، فولكلور الحج: الاحتفالات في الريف والصعيد المصري، استرجاع بتاريخ 2016/9/13م، موقع العربية: <https://www.alaraby.co.uk/>
14. فرح الأعصر، المدار، المدار تنشر مظاهر الحج على الطريقة الأرستقراطية، استرجاع بدون تاريخ ، موقع المدار: <http://elmdar.org>
15. مجدى شلبي، التقاليد المرتبطة برحلة الحج في(القرية المصرية)، مجلة (الحج والعمرة)، وزارة الحج السعودية، عدد ربيع أول 1427هـ /2006م.